روبنصن كروزو

— ١ —

هٰذِهِ القِصَّة ، مِنْ أَبْدَعِ مَا كَتَبَ الإِنْجِلِيزُ ، وَسَنَقْرَءُونَهَا هُنَا كَمَا رَوَاهَا « كُرُوزُو » عَنْ نَفْسِهِ :

« وُلِدْتُ سَنَةَ ١٦٣٢ بِمَدِينَةِ يُورك » بِانْجِلْتِرَا ، مِنْ أُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ . وَكُنْتُ مُغْرَماً بِالْبَحْرِ مُنْذُ الصِّغَرِ ، وَلٰكِنَّ وَالِدِي كَانَ يَنْهَانِي مِنَ الذَّهَابِ إِلَيْهِ . لأَنَّهُ كَانَ رَجُلاً حَكِيماً وَشَدِيداً . وَذَاتَ يَوْمٍ ، قَابَلْتُ صَدِيقاً لِي بِمَدِينَةِ « هل » ، وَكَانَ يَتَأَهَّبُ لِلسَّفَرِ عَلَى سَفِينَةِ أَبِيهِ ، فَطَلَبَ إِلَيَّ أَنْ أُرَافِقَهُ ، فَقَبِلْتُ دَعْوَتَهُ دُونَ أَنْ أَسْتَأْذِنَ وَالِدِي أَوْ أَسْأَلَ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ . فَرَى ! بَلْ دُونَ أَنْ أُفَكِّرَ فِي عَاقِبَةِ مَا أَنَا مُقْدِمٌ عَلَيْهِ .

وَأَقْلَعَتْ بِنَا السَّفِينَةُ فِي نَفْسِ اليَوْمِ قَاصِدَةً سَوَاحِلَ أَفْرِيقَا . وَسِرْنَا بِهَا مُتَّجِهِينَ نَحْوَ جَزِيرَةِ فِرْنَانْدُو . وَبَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ ، هَبَّتْ عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ ، كَانَتْ تَدْفَعُ السَّفِينَةَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ ، بَيْنَ الأَمْوَاجِ الثَّائِرَةِ ! وَتَسَرَّبَ بِسَبَبِ ذٰلِكَ الخَلَلُ وَالْمَاءُ إِلَيْهَا ، وَأَصْبَحْنَا جَمِيعاً فِي خَطَرٍ شَدِيدٍ ! !

وَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذٰلِكَ إِذِ انْدَفَعَتِ السَّفِينَةُ إِلَى شَاطِىءٍ مِنَ الرَّمْلِ ، فَانْغَرَسَتْ فِيهِ ، وَأَخَذَتِ الأَمْوَاجُ تَرْطُمُهَا بِشِدَّةٍ ، حَتَّى تَصَدَّعَتْ تَمَاماً وَلَجَأْنَا جَمِيعاً إِلَى قَارِبٍ صَغِيرٍ ، أَنْزَلْنَاهُ إِلَى الْمَاءِ ، وَمَا كِدْنَا نَسِيرُ بِهِ ، حَتَّى غَمَرَتْهُ مَوْجَةٌ هَائِلَةٌ ، فَطَوَاهُ الْمَاءُ بِمَنْ فِيهِ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِوَايَ ! ! فَقَدْ حَمَلَنِي التَّيَّارُ ، وَأَنَا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ ! إِلَى شَاطِىءِ أَرْضٍ لاَ عَهْدَ لِي بِهَا ، وَلَمَّا أَفَقْتُ أَفْرَغْتُ مَعِدَّتِي مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الَّذِي ابْتَلَعْتُهُ ، ثُمَّ اسْتَلْقَيْتُ عَلَى الأَرْضِ لِاسْتِرَاحَ ، وَلٰكِنْ خَشِيتُ الْوُحُوشَ ، فَتَسَلَّقْتُ شَجَرَةً ، وَنِمْتُ بَيْنَ أَغْصَانِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ .

وَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ ، وَجَدْتُ الْجَوَّ صَحْواً ، وَالْبَحْرَ هَادِئاً فَعَوَّلْتُ عَلَى أَنْ أَسْبَحَ إِلَى السَّفِينَةِ ، عَسَانِي أَجِدُ بِهَا شَيْئاً يَنْفَعُنِي ؛ وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تَبْعُدُ عَنِ الشَّاطِىءِ بِمِقْدَارِ نِصْفِ مِيلٍ تَقْرِيباً . وَوَصَلْتُ إِلَيْهَا ، وَتَسَلَّقْتُ أَحَدَ جَوَانِبِهَا ، حَيْثُ وَجَدْتُ

بِضْعَةَ ألْواحٍ مِنَ الخَشَبِ ، فَرَبَطْتُهَا وَجَعَلْتُ مِنْهَا مَا يُشْبِهُ قَارِبًا صَغِيرًا ، حَمَلْتُ عَلَيْهِ صُنْدُوقًا كَبِيرًا

ونمت بين أغصانها حتى الصباح

مَمْلُوءًا أغْذِيَةً مُخْتَلِفَةً مِنْ شَايٍ وَسُكَّرٍ وَ (بَسْكَوِيتٍ) وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَبَعْضَ أدَوَاتٍ بَسِيطَةٍ لِلنَّجَارَةِ ، وَسَبْعَ بَنَادِقَ ، وَكَمِّيَّةً كَبِيرَةً مِنَ البَارُودِ وَالوَرَقِ وَالأقْلَامِ وَالكُتُبِ وَالإبَرِ وَالثِّيَابِ . وَثَبَّتُّ لِلعَوَّامَةِ قِلْعًا صَغِيرًا ، وَاتَّجَهْتُ نَحْوَ الشَّاطِئِ . وَقَبْلَ أنْ أرْسُوَ عَلَى البَرِّ ، مَالَتْ بِي ، وَكَادَ يَسْقُطُ كُلُّ مَا عَلَيْهَا فِي المَاءِ ؛ لَوْلَا أنِّي عَمَدْتُ إلَى رَبْطِ تِلْكَ الأشْيَاءِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، بِحَبْلٍ كَانَ مَعِي ! ! وَبِذَلِكَ تَمَكَّنْتُ مِنْ تَسْيِيرِهَا بِأمَانٍ ، إلَى نَهْرٍ صَغِيرٍ قَرِيبٍ مِنَ الشَّاطِئِ ! ، وَرَسَوْتُ عَلَى البَرِّ ، وَأفْرَغْتُ العَوَّامَةَ .

وَخَطَرَ لِي أنْ أكْتَشِفَ الأرْضَ التِي حَوْلِي عَسَانِي أعْثُرُ عَلَى مَكَانٍ أمِينٍ ، أتَّخِذُ مِنْهُ مَأْوًى أجْأ إلَيْهِ لَيْلًا ؛ وَأحْفَظُ فِيهِ ذَخِيرَتِي مِنْ عَبَثِ الوُحُوشِ فَارْتَقَيْتُ تَلًّا عَالِيًا ، وَوَقَفْتُ عَلَى قِمَّتِهِ فَتَحَقَّقْتُ أنَّ الأرْضَ التِي رَسَوْتُ عَلَيْهَا ، جَزِيرَةٌ ، وَلَمْ أرَ بِجِوَارِهَا أرْضًا أخْرَى عَدَا جَزِيرَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ ، عَلَى بُعْدِ تِسْعَةِ أمْيَالٍ مِنِّي . وَلَمْ يَكُنْ بِالجَزِيرَةِ حُقُولٌ ، أوْ مَنَازِلُ ، ، أوْ آثَارٌ تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ إنْسَانٍ وَكَانَتْ بِالجَزِيرَةِ أنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ لَا حَصْرَ لَهَا ، مِنَ الطُّيُورِ . وَقَدْ اصْطَدْتُ طَائِرًا ، أثْنَاءَ تَجْوَالِي وَلَا شَكَّ عِنْدِي أنَّ هَذِهِ هِيَ أوَّلُ مَرَّةٍ سُمِعَ فِيهَا طَلَقٌ نَارِيٌّ فِي تِلْكَ البِلَادِ ! !

وَهَدَانِي البَحْثُ إلَى مَكَانٍ لَا بَأْسَ بِهِ ، لِأجْعَلَ فِيهِ مَسْكَنِي ! فَقَدْ وَجَدْتُ سَهْلًا صَغِيرًا يَقُومُ عَلَى جَانِبِهِ تَلٌّ ؛ فِي دَاخِلِهِ كَهْفٌ صَغِيرٌ ، فَضَرَبْتُ خَيْمَتِي فِي السَّهْلِ ثُمَّ نَبَتُّ حَوْلَهَا فِي شَكْلِ نِصْفِ دَائِرَةٍ ، صَفَّيْنِ مِنْ عِصِيٍّ قَوِيَّةٍ ،

حَادَّةِ الْأَطْرَافِ تَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ بِمِقْدَارِ خَمْسَةِ أَقْدَامٍ وَنِصْفٍ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَسَّعْتُ مَدْخَلَ الْكَهْفِ ، ثُمَّ أَزَحْتُ الثَّرَى وَالْأَحْجَارَ عَنِ الْمَكَانِ ، وَمَلَأْتُ بِهَا مَا بَيْنَ صَفَّيِ الْعِصِيِّ ! فَنَشَأَ عَنْ ذٰلِكَ سُورٌ مَنِيعٌ وَبِذٰلِكَ أَصْبَحَ لِعُشِّي غُرْفَتَانِ ؛ الْخَيْمَةُ ، وَالْكَهْفُ أَوِ الْمَخْزَنُ . وَلَمْ أَفْتَحْ بَابًا فِي السُّورِ ، بَلِ اتَّخَذْتُ سُلَّمًا لِلْخُرُوجِ وَالدُّخُولِ ! وَكُنْتُ أَحْمِلُهُ مَعِي ، كُلَّمَا دَخَلْتُ إِلَى مَأْوَايَ ! ! ! بِذٰلِكَ أَمِنْتُ عَلَى نَفْسِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَحَمَلْتُ ذَخِيرَتِي ، وَرَتَّبْتُهَا فِي الْكَهْفِ وَبَعْدَ أَنْ قَضَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، جَالَ بِخَاطِرِي أَنْ لَا بُدَّ لِي مِنْ شَيْءٍ أَسْتَطِيعُ بِهِ حِفْظَ التَّارِيخِ ، حَتَّى لَا أَنْسَاهُ ، فَعَمَدْتُ إِلَى قِطْعَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْخَشَبِ ، وَنَصَبْتُهَا بِجَانِبِ خَيْمَتِي وَحَفَرْتُ عَلَيْهَا بِالْخَطِّ الْكَبِيرِ .

وَصَلْتُ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ فِي ٣٠ مَايُو سَنَةَ ١٦٥٩

ثُمَّ حَفَرْتُ عَلَامَاتٍ صَغِيرَةً ، بِعَدَدِ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ ! ! وَجَعَلْتُ الْعَلَامَةَ السَّابِعَةَ أَطْوَلَ مِنْ مَثِيلَاتِهَا ، لِتَكُونَ إِشَارَةً إِلَى نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ كَمَا جَعَلْتُ الْعَلَامَةَ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى نِهَايَةِ الشَّهْرِ ، أَطْوَلَ مِنْ جَمِيعِ الْعَلَامَاتِ الْأُخْرَى ، لِتَتَمَيَّزَ عَنْهَا .

وَكُنْتُ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى مَائِدَةٍ وَكُرْسِيٍّ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خَشَبٌ يَصْلُحُ لِذٰلِكَ ! فَكُنْتُ

واقفًا صفين من العصى المدببة . .

مُضْطَرًّا لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ الْمُحِيطَةِ بِي . وَكَانَ ذٰلِكَ شَاقًّا لِلْغَايَةِ ! فَقَدْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَنْشُرَ الْجُزْءَ الْمُسْتَدِيرَ مِنْ جِذْعِ الشَّجَرَةِ ، مِنَ الْجَانِبَيْنِ . فَأَحْصُلَ بِذٰلِكَ عَلَى لَوْحٍ وَاحِدٍ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ! ! وَكَانَ إِعْدَادُ اللَّوْحِ الْوَاحِدِ ، يَسْتَغْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا ! ! وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوَقْتِ أَيَّةُ قِيمَةٍ عِنْدِي بِالطَّبْعِ ! فَهَلْ هُنَاكَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذَا ! لِأَشْغَلَ بِهِ نَفْسِي ! !

ونقلت من السفينة صندوقا وبعض اشيا اخرى

وَاسْتَطَعْتُ بِتِلْكَ الْوَسِيلَةِ ، أَنْ أَصْنَعَ مَائِدَةً وَكُرْسِيًّا وَثَبَّتُّ بَعْضَ الْأَلْوَاحِ ، عَلَى جُدْرَانِ الْكَهْفِ وَرَتَّبْتُ عَلَيْهَا أَدَوَاتِي ، وَكَانَ ذٰلِكَ بَاعِثًا قَوِيًّا لِإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى نَفْسِي ، فَقَدْ أَصْبَحَ عِنْدِي كُلُّ مَا احْتَاجُ إِلَيْهِ تَقْرِيبًا .

وَكَانَتْ تَنْقُصُنِي الْإِضَاءَةُ بِاللَّيْلِ أَوَّلُ الْأَمْرِ فَكُنْتُ أَنَامُ بِمُجَرَّدِ حُلُولِ الظَّلَامِ ! ! عَلَى أَنِّي اسْتَصْنَعْتُ بَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ أَنْ أَصْنَعَ إِنَاءً من طِينٍ ، جَفَّفْتُهُ فِي الشَّمْسِ ، ثُمَّ مَلَأْتُهُ دُهْنًا ذَائِبًا . لِيَقُومَ مَكَانَ الْبِتْرُولِ أَوِ الزَّيْتِ ، وَبِذٰلِكَ حَصَلْتُ عَلَى ضَوْءٍ يُؤْنِسُنِي فِي الظَّلَامِ

وَقَضَيْتُ عَشَرَةَ شُهُورٍ . دُونَ أَنْ أَبْتَعِدَ كَثِيرًا عن مَأْوَايَ بِالْجَزِيرَةِ . ثُمَّ عَوَّلْتُ عَلَى ارْتِيَادِ أَطْرَافِهَا ، لِأَكْشِفَ مَا بِهَا من نَبَاتٍ أَوْ حَيَوَانٍ ، فَعَثَرْتُ عَلَى مِسَاحَاتٍ كَبِيرَةٍ يَنْمُو بِهَا قَصَبُ السُّكَّرِ ، وَلٰكِنَّهُ كَانَ بَرِّيًّا وَلَيْسَ فِي حَالَةٍ جَيِّدَةٍ ؛ وَتَلِي ذٰلِكَ مِسَاحَاتٌ أُخْرَى تَنْمُو بِهَا أَشْجَارُ الْفَاكِهَةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَقَدْ جَمَعْتُ مِنْهَا كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةً ، وَعَوَّلْتُ عَلَى حَمْلِهَا إِلَى مَأْوَايَ ؛ لِأُجَفِّفَهَا فِي الشَّمْسِ ، وَأَحْتَفِظَ بِهَا . وَقَضَيْتُ لَيْلَتِي عَلَى شَجَرَةٍ ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، وَصَلَ بِي التَّجْوَالُ إِلَى سُهُولٍ وَاسِعَةٍ تُغَطِّيهَا أَشْجَارٌ بَاسِقَةٌ وَأَزْهَارٌ يَانِعَةٌ تَمْلَأُ الْجَوَّ بِرَائِحَةٍ زَكِيَّةٍ جَمِيلَةٍ ! وَبَدَا الْمَكَانُ كَأَنَّهُ حَدِيقَةٌ غَنَّاءُ ، أَوْ رَوْضَةٌ فَيْحَاءُ ! ! وَكَمْ كَانَ جَمِيلًا ، أَنْ أَشْهَدَ ذٰلِكَ الْمَنْظَرَ الْبَدِيعَ ! ! وَكَمْ كُنْتُ سَعِيدًا ، فَخُورًا عِنْدَمَا جَالَ بِخَاطِرِي ! أَنِّي مَلَكْتُ ذٰلِكَ الْإِقْلِيمَ بِأَجْمَعِهِ ! ! وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، قَضَيْتُهَا فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ ، عُدْتُ إِلَى مَأْوَايَ ! أَحْمِلُ مَا جَمَعْتُ مِنَ الْفَاكِهَةِ ! !